الطالب/ **آمال كعواش**

أستاذ مساعد بكلية الآداب

و الحضارة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر

رقم الهاتف: 0661871449

Assiasalah104 @ yahoo.com

السيميائية منهج ألسني نقدي

الأستاذة : أمال كعواش

أستاذ مساعد مكلف بالدروس

كلية الآداب و الحضارة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر

ملخص الدراسة

انبثقت السيميائية كمنهج نقدي تتناول النص بالتحليل و الدراسة مع منتصف القرن العشرين، و ذلك ضمن المعطيات العامة في التحليل النصي، و ساعد على انبعاث هذا المنهج النقدي الجديد انحسار البنيوية وانغلاقها على النص، و إلغائها لكل الملابسات و السياقات المتصلة بفضائه الخارجي، مما أدى إلى عزوف العديد من الدارسين و من بينهم من كانوا زعماء لهذا المنهج البنيوي نفسه، و نقصد بهم كل من "رولان بارت" R. Barthes و "جاك دريدا" J. Derrida و "جوليا كريستيفا" J . Kristeva و غيرهم، بالإضافة إلى عوامل أخرى كثيرة في مقدمتها ظهور جماعة (كما هو) Tel .Quel

و على الرغم من حداثة المنهج السيميائي في مجال النقد خصوصا، إلا أنه لم يكد يستوي على عوده، حتى سلك عدة اتجاهات في تناول النص من اتجاه يرى في السيمياء دراسة للأنظمة الدالة من خلال الظواهر الاجتماعية و الثقافية الملابسة للنص، واتجاه ثان يرى أن السيمياء هي دراسة لأنظمة الاتصال اللغوية منها و غير اللغوية، و اتجاه ثالث حاول أن يوفق بين الاتجاهين السابقين؛ أي بين العلامة اللغوية و العلامة غير اللغوية باعتبارهما يتكاملان مع اللسانيات. و مهما يكن من أمر، فإن هذه الاتجاهات تضعنا أمام استنتاج هام في كون التوجهات النظرية في الدرس السيميائي المعاصر على اختلافها تستنجد – غالبا – بالنظريات اللسانية، و هو مسار يحتم على المتصدي للنص أن يكون مدركا تمام الإدراك أن هذا النص يوظف بنى لغوية متعددة، و من ثم فإنه لا يمكنه استكناه معانيها إلا باللجوء إلى بنياتها العميقة.

Synthesis

The semiotic has derived as a critical method treating the text with analysis and study during the mid twenties century; according to the general data of the analysis, it has helped to the appearance of the new critical method, which has led to the by making the structural form of the text away, closing and excluding all its relations with the external world, that is why many of the researchers in the field of the structural method have left it among them: *Roland Barthes, Jack Derrida, Julia Kristeva* … etc and others; in addition, to other various circumstances as the appearance the Group (Tel Quel).

Even though, the newness of the semiotic method, mainly in the domain of the critical study; but it has got dimensions in different treatments of the text. The first direction viewed the semiotic study linked to a systems meaning the social and the cultural contexts of the text. The second direction saw this study related to the systems of communicative languages and others. Third direction tried to combine between the language symbol and non-language; for they were complementary to linguistics.

These directions led us to an important conclusion; these methodical directions specially in the lesson of the contemporary semiotic was based on the help of the linguistics theory and it was a way which obliged to know that this text used various language structures, in an acceptance of its senses except through the using of a profound structures.

توجه انتقادات متعددة إلى الجهود النقدية المنبعثة من اللسانيات البنيوية، لذلك بدأ ينهض جيل جديد من الباحثين و الناقدين الذين عرفوا الكشوفات البنيوية جيدا، لكنها – على رأيهم –تميزت بعدم الكفاية المنهجية و أطرها الضيقة التي لم تتح لهم الانضواء في ظلالها، بل الخروج عليها، محاولة منهم تحرير المنهجية النقدية من القيود الصارمة، فانطلقت ثورة جديدة في عالم النقد عرفت بالسيميائية، هذا التيار النقدي الذي يحاول نقد الوصفية البنيوية المجردة و نموذجها اللغوي.

لقد احتلت السيمياء حقول المعارف النقدية و الأدبية علما يهدف إلى البحث عن دلائل العلامات و تأويلاتها في الكون كله، وكان لهذا التوسيع في مجالاتها وانفتاحها الكبير أن تداخلت معها العلوم و المعارف العلمية و الإنسانية، لكنها استطاعت في الأخير أن تجد لنفسها منهجا مستقلا، محاولة فرض تطبيقاتها على مختلف مظاهر الحياة.

1– ماهية المنهج السيميائي الألسني

أغلب الدراسات الغربية تذهب إلى أن كلمة (السيمياء) *La Sémiotique* مشتقة من الكلمة الإغريقية *Sémeion* الذي يحيل على (سمة مميزة) *Marque distinctive*، (أثر) *Trace*، (قرينة) *Indice*، (علامة منذرة) *Signe précurseur*، (دليل) *Preuve*، (علامة منقوشة أو مكتوبة) *Signe gravé ou écrit*، (بصمة) *Empreinte*، (تمثيل تشكيلي) *Figuration*.[1]

و تشير دراسات أخرى إلى أنها مشتقة من الأصل اليوناني *Seméion* الذي يعني (علامة)، و *Logos* الذي يعني (خطاب) وبامتداد أكبر كلمة *Logos* تعني العلم.[2]

---

[1] انظر: يوسف وغليسي، ***مناهج النقد الأدبي***. (دار جسور للنشر و التوزيع : الجزائر). ط: 1. 2007م. ص: 93. نقلا عن: Julia Kristeva, ***La Révolution du Langage Poétique***, Edition du Seuil, 1974.P: 22.

[2] انظر: فيصل الأحمر، ***معجم السيميائيات***. (منشورات الإختلاف – الدار العربية للعلوم ناشرون : الجزائر، لبنان). ط: 1. 2010م. ص: 11، 12.

أما عن اشتقاقها العربي فجاء في: *لسان العرب* أن : « (السيمياء) بمعنى (العلامة)، مشتقة من الفعل (سام) الذي هو مقلوب (وَسَمَ)، وزنها (عِفْلَى)، وهي في الصورة (فِعْلَى)، يدل على ذلك قولهم: (سِمَةٌ)، فإن أصلها (وِسْمَةٌ)، ويقولون: (سِيمَى) بالقصر، و (سيماء) بالمد، و (سيمياء) بزيادة الياء وبالمد، ويقولون: (سَوَّمَ) إذا جعل سمة ... سَوَّمَ فرسه، أي: جعل عليه السيمة، وقيل: الخيل المسومة هي التي عليها السيما والسومةُ، وهي (العلامةُ) ».[3]

يتضح مما أوردنا أن كلمة (سيمياء) لغة مشتقة، وهي بمعنى (العلامة) أو (الآية). و جل الباحثين في هذا الحقل المعرفي، غالبا ما يستعملون و يفضلون مصطلحات السيميائية و السيمياء و علم السيمياء ... إلخ، دون غيره لأنه مصطلح ضارب في الأصل العربي.

و من المصادفات الألسنية الطريفة أن تلتقي المادة المعجمية العربية (سيمياء) صوتا و معنى مع نظيراتها الأجنبية التي تؤول جميعا إلى النواة اللغوية اليونانية القديمة *Sêma* بمعنى (علامة) *Signe*.[4] و إلى هذا ذهب *"عبد السلام المسدي"* الذي رأى أن مثل هذا التلاقي اللغوي أمر عجيب و لا يحدث إلا نادرا جدا حيث تتماثل لغتان في موطن معين، و يوضح ذلك قائلا: « دون أن يكون في كل ذلك أي اقتران تاريخي، فليس ما حصل في هذه اللغة بمستعار من تلك، و لا الذي في تلك بمأخوذ عن هذه، و تحصل مثل هذه الظاهرة بين الألسنية البشرية و تكون من محض الصدفة أن يتفق لفظان من لسانين متباعدين اتفاقا في الشكل و المعنى دون صلة تاريخية، و يسمي اللسانيون هذه الظاهرة بالكلمات الأشباه، أو إذا قمنا بترجمة العبارة الفرنسية قلنا: الألفاظ ذات القرابة الوهمية ».[5]

و يعرف *"دو سوسير" Ferdinand de Saussure* السيمياء و التي أطلق عليه اسم (السيميولوجيا) *Sémiologie* في كتابه بـ : « نستطيع إذن أن نتصور علما يدرس حياة الرموز و الدلالات المتداولة في الوسط المجتمعي. و هذا العلم يدرس جزءا من علم النفس المجتمعي، و من ثم يندرج في علم النفس العام، و نطلق عليه مصطلح علم الدلالة *Sémiologie* (من الكلمة الإغريقية دلالة (*Séméion*)). و هو علم يفيدنا موضوعه الجهة التي تقتنص بها أنواع

---

[3] ينظر، ابن منظور، *لسان العرب*. (دار صادر : بيروت). دت. ص:311، 312. مادة (سوم).

[4] انظر: يوسف وغليسي، ***مناهج النقد الأدبي***. ص: 115.

[5] المصطلح الفرنسي الذي يرمي إليه المسدي هو: *Les Faux amis* .

الدلالات و المعاني؛ كما يهدينا إلى القوانين التي تضبط تلك الدلالات. و ما دام هذا العلم لم يوجد بعد فلا نستطيع أن نتنبأ بمصيره »،[6] ثم يسترسل "دو سوسير" قائلا: « غير أننا نصرح بأن له الحق في الوجود و قد تحدد موضعه بصفة قبلية. و ليس علم اللسان إلا جزءا من هذا العلم العام. و إن القوانين التي سيكشف عنها علم الدلالة ستكون قابلة للتطبيق على علم اللسان. و هكذا سوف يرتبط علم اللسان بحقل معين تمام التعيين داخل مجموعة الظواهر الإنسانية ».[7] فـ"دو سوسير" قد تصور وجود هذا العلم وبيّن اشتقاقه وأصله، كما يحدد موضوعه بأنه يهتم بأنواع الدلالات والمعاني ويدرس حياة الرموز والدلالات المتداولة في الوسط المجتمعي، و ينادي بحقه في الوجود، كما يصف علاقة هذا العلم الآتي الذي لم يكن قد ولد بعد، بكل من علم النفس الذي هو الأصل الذي ينتمي إليه العلم المبشر به، وبين علم اللسان الذي سيكون جزء منه، كما يبين وظيفته وأهميته و ذلك ببيان مدلولات الإشارات ومعرفة قوانينها التي تحكمها.

كما يرى "دو سوسير" أن اللسان نسق من العلامات التي تعبر عن المعنى أو الأفكار، وهو ما يمكن أن يقارن بلغة الصم والبكم والطقوس الرمزية الأخرى دينية كانت أم ثقافية مادامت وسط المجتمع. و أن العلامة اللغوية عنده هي كيان ثنائي المبنى مكون من (الدال) و (المدلول) فالدال هو الصورة الحسية الصوتية والمدلول هو المفهوم أو فكرة الصورة الصوتية الحسية و أن العلامة اللغوية ذات طبيعة اعتباطية أي لا ترتبط بدافع؛ أي أنها اعتباطية لأنها ليس لها صلة طبيعية بالمدلول.[8]

وقد تزامن هذا التبشير مع ما كان يذهب إليه سيميائي آخر وهو الأمريكي "شارل ساندرس بورس" C.S. Peirce حيث أطلق هذا الأخير على هذا العلم اسم (السيميوطيقا) Sémiotique، و يرى أن النشاط البشري بمجمله نشاط سيميائي وبطبيعة الحال فإن النشاط اللساني هو نشاط سيميائي لأنه جزء من النشاط البشري. و تعني (السيميوطيقا) عنده؛ نظرية عامة للعلامات في الفكر الإنساني فهي نظرية للعلامات والأنساق الدلالية في كافة أشكالها.[9] كما أنه يعطيها

---

[6] فرديناند دي سوسير، ***محاضرات في علم اللسان العام***. ترجمة: عبد القادر القنيني. (أفريقيا الشرق : المغرب). دط. 2008م. ص: 31، 32.

[7] *المرجع نفسه*. ص: 32.

[8] انظر: عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي و آخرون، ***معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة***. (المركز الثقافي العربي : الدار البيضاء). ص: 73- 76.

[9] وهي نظرية أوسع نطاقا من نظرية "دوسوسير" ؛ لأن لها فاعلية خارج نطاق علم اللغة.

تحديدا أشمل و أكثر عمومية فهي كيان ثلاثي المبنى يتكون من (المصورة) و يقابلها (الدال) و (المفسرة) و يقابلها (المدلول) و (الموضوع) – ولا يوجد له مقابل عند *"دو سوسير"* – و وضح أن هناك أنواع للعلامات هي (العلامة الأيقونية) أو الصورية و (العلامة المؤشرية) أو الإشارية و (العلامة الرمزية).[10]

و خلاصة الرأيين أن السيميولوجيا عند *"دوسوسير"* هي: علم يدرس دور الإشارات بوصفها جزءا من الحياة الاجتماعية، أما بالنسبة إلى *"بورس"*، فحقل دراسة السيميائية هو: الشكلاني للإشارات، مما يقربها من المنطق،[11] إذن، فلقد ربط *"بورس"* هذا العلم بالمنطق، فالمنطق – عنده – ليس بمفهومه العام إلا اسما آخر للسيميوطيقا. و لهذا اهتم *"بورس"* كثيرا بدراسة الدليل اللغوي من وجهة فلسفية خالصة.[12]

بيد أن احتفاء الباحثين بهذين القطبين السيميائيين، لا ينفي أن المصطلح قد استعمل – قبلهما – في سياقات علمية متقاربة؛ فقد استعمل أفلاطون مصطلح *Sémiotiké* إلى جانب مصطلح *Grammatiké* بمعنى تعلم القراءة و الكتابة، ثم يختفي هذا المصطلح قرونا طويلة، ليعود مع الفيلسوف الإنجليزي *"جون لوك"* الذي استعمل مصطلح *Semeiotiké* حوالي 1690م بدلالات مشابهة لاستعماله الأفلاطوني. مثلما استعمل مصطلح *Séméiologie* و أحيانا *Sémiologie* سنة 1752م، ضمن المجال الطبي، بمعنى الدراسة النسقية للأعراض المرضية.[13]

و ما يمكن استنتاجه أن مصطلح (السيمياء) مصطلح يغوص في القدم و ليس مصطلحا مستحدثا لا من قبل *"دو سوسير"* و لا من نظيره *"بورس"*.

---

[10] عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي و آخرون، ***معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة***. ص: 77، 78.

[11] انظر: دانيال تشاندلر، ***أسس السيميائية***. ترجمة: طلال وهبة. مراجعة: ميشال زكريا. (المنظمة العربية للترجمة : بيروت – لبنان). ط: 1. 2008م. ص: 30. نقلا عن: Charles Sanderes Peirce, ***Collected Papers of Charles Sanders Peirce***. 8 vols. (Cambridge : Harvard University Press. 1931 – 1958). P : 227.

[12] انظر: فيصل الأحمر، ***معجم السيميائيات***. ص: 17.

[13] انظر: يوسف وغليسي، ***مناهج النقد الأدبي***. ص: 96.

و على الرغم من أن مصطلح (*Sémiotique*) قد عرف تعدد مدلوله في الوسط الغربي من (*Semanalyse*، *Sémasiologie*، *Séméiologie*) فإنه أشهر مصطلحين هما:*Sémiologie* و *Sémiotique*. فالأوربيون يفضلون مصطلح (السيميولوجيا) بتأثير من *"دو سوسير"* الذي وضع هذا المصطلح، أما الأمريكيون فيفضلون مصطلح (السيميوطيقا) بتأثير من *"بورس"* الذي وظفه في مختلف كتاباته حول العلامة.[14] لكن الشائع في أيامنا هذه استعمال (السيميائية) كمصطلح عام يشمل كل الحقل المدروس.

إلا أن المصطلحين معا عرفا انتشارا متبادلا، ويكفي أن ندرك أن المنتمين إلى الثقافة الفرنسية لم يقصوا تماما من دائرة عنايتهم وكتاباتهم مصطلح (السيميوطيقا)، نظرا لانتشاره الواسع في الثقافات الأخرى، وخاصة الأنجلوسكسونية والروسية، كما أن مصطلح (السيميولوجيا) ظل راسخا في فرنسا وفي غيرها من البلدان اللاتينية.

وهناك من يرى أنه لم تعد ثمة أسباب أو مبررات تجعل أحد المصطلحين يحظى بالسيادة دون الآخر، و من ثم دعوا إلى التطابق بين المصطلحين واستخدامها بمفهوم واحد وذلك استنادا إلى القرار الذي اتخذته الجمعية العالمية للسيميوطيقا *Semiotica* التي انعقدت في فبراير عام 1969م بباريس وقررت تبني استخدام مصطلح (السيميوطيقا) *Sémiotique* ، وتأسيس الرابطة الدولية للدراسات السيميوطيقية.[15] يؤكد *"أمبرتو إيكو"* ذلك قائلا: « لقد قررنا على كل حال أن نتبنى هنا بصفة نهائية مصطلح السيميوطيقا *Sémiotique* بدون أن نتوقف عند المناقشات حول التوريطات الفلسفية أو المنهجية لكلا المصطلحين. نحن نخضع بكل بساطة للقرار المتخذ في يناير سنة 1969م بباريس من لدن الهيئة الدولية التي تمخضت عنها الجمعية الدولية للسيميوطيقا والتي قبلت (بدون أن تقصي استعمال السيميولوجيا) مصطلح السيميوطيقا على أنه هو الذي ينبغي ابتداء من الآن أن يغطي جميع المفاهيم الممكنة للمصطلحين المتنافس فيهما ».[16]

---

[14] انظر: فيصل الأحمر، ***معجم السيميائيات***. ص: 13.

[15] *المرجع نفسه*.

[16] انظر: جميل حمداوي، « ***مدخل إلى مناهج النقد*** ». مجلة عالم الفكر. (الكويت). المجلد: 25. العدد: 3. مارس 1997م. ص: 79.

ويحسن بنا في هذا المضمار رغم ما قيل في التفرقة بين المصطلحين، أن نستحضر بعض التعريفات المتأخرة للمنهج السيميائي ولو بإيجاز كي يتسنى لنا التمييز بين المصطلحين.

و أوسع تعريفات السيميائية عند العلماء الغربيين المعاصرين هو قول *"أمبرتو إيكو"* : « تعنى السيميائية بكل ما يمكن اعتباره إشارة »،[17] و بهذا عرفها كل من *"تودوروف"* T. Todorov و *"غريماس"* J.Greimas و *"بيير غيرو"* P. Guira و غيرهم، فهذا الأخير مثلا يذهب إلى أن السيميوطيقا علم يهتم بدراسة أنظمة العلامات جاعلا من اللغة جزءا من السيميوطيقا. ف*"غيرو"* بهذا المعنى يتبنى الطرح نفسه السوسيري الذي يعتبر اللسانيات فرعا من السيميولوجيا.[18]

غير أن *"رولان بارت"* يرفض هذا الطرح ويقلب المعادلة على عقبيها، بتأكيده أن السيميولوجيا لا يمكن أن تكون سوى نسخة من المعرفة اللسانية. فإذا كان العالم السوسيري قد ضيق الدرس السيميولوجي ووجه كل اهتماماته للغة، وجعلها الأصل و محل الصدارة، فإن مفهوم *"بارت"* للسيميولوجيا فسح المجال لاستيعاب دراسة الأساطير واهتم بأنساق من العلامات التي أُسقطت من سيميولوجية *"دو سوسير"* كاللباس وأطباق الأكل والديكورات المنزلية، ونضيف الأطعمة والأشربة وكل الخطابات التي تحمل انطباعات رمزية ودلالية.[19]

أما *"جورج مونان"* إلى جانب مجموعة من اللغويين المحدثين، فقد ذهبوا جميعا إلى أن السيميولوجيا تهتم بدراسة جميع السلوكيات أو الأنظمة التواصلية. فالسيميائية عندهم هي ذلك العلم الذي يدرس سائر الظواهر الثقافية بوصفها أنظمة للعلامات قائمة على فرضية مؤداها أن ظواهر الثقافة جميعها ما هي في الواقع سوى أنظمة علامات، وهذا يعني بلا شك بأن الثقافة في جوهرها هي عملية اتصال *Communication*.[20]

---

[17] دانيال تشاندلر، ***أسس السيميائية***. ص: 28. نقلا عن: Umberto Eco, *A Theory of Semiotics*. Advances in Semiotics. (Bloomington : Indiana University). Press 1976. P : 7.

[18] انظر: جميل حمداوي، « ***مدخل إلى مناهج النقد*** ». مجلة عالم الفكر. (الكويت). المجلد: 25. العدد: 3. مارس 1997م. ص: 79.

[19] *المرجع نفسه*.

[20] انظر: أمبرتو إيكو، ***التأويل بين السيميائيات و التفكيكية***. ترجمة و تقديم: سعيد بنكراد. (المركز الثقافي العربي : الدار البيضاء). ط: 2. 2002م. ص: 52.

يتبين لنا من خلال هذه التعريفات و غيرها من نظيراتها أن (السيميولوجيا) و (السيميوطيقا) متقاربتان في المعنى، وموضوعها دراسة أنظمة العلامات أيا كان مصدرها لسانية أو غير لسانية. وهذا مؤشر واضح على أن العلامات وأنساقها هي الموضوع الرئيس للسيميائيات. فلم تعد ثمة أسباب أو مبررات تجعل أحد المصطلحين يحظى بالسيادة دون الآخر. وبالتالي يمكن القول مع من قال بأن السيميولوجيا أو السيميوطيقا هي علم ونظرية عامة ومنهج نقدي تحليلي وتطبيقي.

أما عن مفهوم (السيميائية) كما استخدمها الاصطلاح العربي، فهي لا تختلف عن مفهومها الغربي، بل هي نفسها في كثير من الدراسات، لذلك لن نطيل فيها مقتصرين على بعضها فهي عند *"صلاح فضل"* تطلق: « على العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات الدالة وكيفية هذه الدلالة ».[21] ف « صلاح فضل بهذا التعريف يشترط أن تكون الإشارات المدروسة ذات دلالة، لأن السيميائيات تدرس دلالة هذه الإشارات ».[22] و يذهب آخرون إلى ربطها بالثقافة و مظاهرها فهي عندهم: « دراسة لكل مظاهر الثقافة، كما لو كانت أنظمة للعلامة، اعتمادا على افتراض مظاهر الثقافة كأنظمة علامات في الواقع ».[23]

أما البعض فيرى أن السيمياء: « علم الإشارة الدالة مهما كان نوعها وأصلها. وهذا يعني أن النظام الكوني بكل ما فيه من إشارات ورموز هو نظام ذو دلالة. وهكذا فإن السيميولوجية هي العلم الذي يدرس بنية الإشارات وعلائقها في هذا الكون، ويدرس بالتالي توزعها ووظائفها الداخلية والخارجية».[24]

---

[21] انظر: ***نظرية البنائية في النقد الأدبي***. (دار الشروق : القاهرة). ط: 1. 1998م. ص: 298. و ينوه *"صلاح فضل"* إلى قضية هامة جدا تتعلق بالمصطلح، حيث يرى أن تسميتها بالسيميائية تكون موفقة في اللغة العربية لأن (سيمياء) بمعنى (العلامة)، و لكنه و لتفادي الخلط و كثرة الاشتقاق يرى من الأفضل استخدام المصطلح الغربي. انظر ***المرجع نفسه***.

[22] فيصل الأحمر، ***معجم السيميائيات***. ص: 18.

[23] *المرجع نفسه*.

[24] بشير تاوريريت، ***محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر دراسة في الأصول و الملامح و الإشكالات النظرية و التطبيقية***. (دار الفجر : الجزائر). ط: 1. 2006م. ص: 109. نقلا عن: مازن الوعر، **مقدمة *علم الإشارة – السيميولوجيا*** – لبيرجيرو. ترجمة: منذر عياشي. (دار طلاس للدراسات و الترجمة). ط: 1. 1988م. ص: 9.

و يعد آخرون السيميائية هي « دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية. وهي في حقيقتها كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية من خلال التجلي المباشر للواقعة ، إنها تدريب للعين على التقاط الضمني والمتواري والمتمنّع ، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق أو التعبير عن مكنونات المتن».[25]

و غيرها من التعريفات العربية التي تصب في القالب الغربي نفسه الذي أعطي لها. ومن هذا يتضح أن مفهوم السيميائية هي علم العلامات أو الإشارات أو الدوال اللغوية والرمزية سواء أكانت طبيعية أم اصطناعية وهذا يعني أنها تدرس كل ما هو لغوي وغير لغوي.

كما يبدو أن الدارسين المعاصرين العرب يتعاملون مع السيميائيات كذلك باعتبارها منهجا يساعد على فهم النصوص والأنساق العلامية وتأويلها، و لهذا فإننا نقرأ بين الحين والآخر دراسات وأبحاثا يتوسل أصحابها بالسيميائيات – بصفتها منهجا في المقاربة والدراسة – ومن ذلك بعض دراسات *"عبد الملك مرتاض"* التي تعمد إلى تجريب المنهج السيميائي في تشريح نصوص أدبية قديمة وحديثة.

2– *الإرهاصات الأولى للسيميائية*

على الرغم من أن السيميائية تعد علما حديث النشأة، فإن جذور هذا المنهج الأولى موغلة في القدم، إذ أن استثمار السيميولوجيا في تفسير مكونات النص، و الوقوف عند مقصديته، ليست بالجديدة، حيث « يقترن وجودها بالفكر اليوناني القديم مع أفلاطون و أرسطو اللذين أوليا اهتماما بنظرية المعنى، و كذلك مع الرواقيين الذين وضعوا نظرية شاملة في هذا المعنى بتمييزهم بين الدال و المدلول و الشيء ... أما المناطقة و الأصوليون و البلاغيون و المفسرون العرب، فقد أولوا – بدورهم – عناية كبرى بكل الأنساق الدالة تصنيفا و كشفا عن قوانينها و قوانين الفكر ».[26]

كما يعد *"جون لوك" J. Locke* أول من استعمل مصطلح السيميوطيقا و قصد به العلم الذي يهتم بطبيعة الدلائل التي يستعملها العقل بغية فهم الأشياء أو نقل معرفته إلى الآخرين،[27] ثم

---

[25] سعيد بن كراد، ***السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها***. (منشورات الزمان : الرباط – المغرب). دط. 2003م. ص: 42.

[26] عامر الحلواني، ***في القراءة السيميائية***. (كلية الآداب و العلوم الإنسانية: صفاقص – تونس). ط: 1. 2005م. ص: 25.

[27] *المرجع نفسه*.

استعمل مرة أخرى على يد *"ليبنتز"* *Leibniz* فجعل هذا العلم على علاقة بكل أجزاء النسق بما فيها المقتضيات الفلسفية و الوجودية و المعرفية لنظرية العلامات.[28]

إلا أن *"فرديناند دو سوسير"* *Ferdinand de Saussure* – وهذا باتفاق جل الباحثين – يعد أول من أسس النشأة الحقيقية لهذا العلم، فهو أول من بشر بالمشروع السيميولوجي المعاصر في كتابه: *محاضرات في علم اللسان العام* *Cours de Linguistique Générale* ، و ذلك بين نهايات القرن التاسع عشر و بدايات القرن العشرين، حيث بشر بظهور علم جديد سماه (السيميولوجيا) *Sémiologie* و الذي سيهتم بدراسة الدلائل أو العلامات، ولقد كانت الغاية المعلنة والضمنية للسيميولوجيا هي تزويدنا بمعرفة جديدة ستساعدنا لا محالة على فهم أفضل لمناطق هامة من الجانب الإنساني والاجتماعي ظلت مهملة و لفترة طويلة، و ذلك لوجودها خارج دائرة التصنيفات المعرفية التقليدية،[29] و في هذا الصدد يقول *"دو سوسير"* : « نستطيع إذن أن نتصور علما يدرس حياة الرموز و الدلالات المتداولة في الوسط المجتمعي. و هذا العلم يدرس جزءا من علم النفس المجتمعي، و من ثم يندرج في علم النفس العام، و نطلق عليه مصطلح علم الدلالة *Sémiologie* (من الكلمة الإغريقية دلالة (*Séméion*)) ».[30] ثم يسترسل قائلا: « و هو علم يفيدنا موضوعه الجهة التي تقتنص بها أنواع الدلالات و المعاني؛ كما يهدينا إلى القوانين التي تضبط تلك الدلالات. و ما دام هذا العلم لم يوجد بعد فلا نستطيع أن نتنبأ بمصيره. غير أننا نصرح بأن له الحق في الوجود و قد تحدد موضعه بصفة قبلية. و ليس علم اللسان إلا جزءا من هذا العلم العام. و إن القوانين التي سيكشف عنها علم الدلالة ستكون قابلة للتطبيق على علم اللسان. و هكذا سوف يرتبط علم اللسان بحقل معين تمام التعيين داخل مجموعة الظواهر الإنسانية ».[31]

وقد تزامن هذا التبشير مع مجهودات الفيلسوف الأمريكي *"شارل ساندرس بورس"* *C.S. Peirce* في الضفة الأخرى من المحيط الأطلسي – أمريكا – حيث بشر *"بورس"* بدوره بميلاد علم

---

[28] انظر: عامر الحلواني، ***في القراءة السيميائية***. ص: 25.

[29] انظر: سعيد بن كراد، ***السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها***. (مقدمة).

[30] فرديناند دي سوسير، ***محاضرات في علم اللسان العام***. ص: 31، 32.

[31] فرديناند دي سوسير، ***محاضرات في علم اللسان العام***. ص: 32.

جديد يقوم أساسا على المنطق[32] هو (السميوطيقا) *Sémiotique* (التي نتبنى الاسم المعرب لها وهو السميائيات)، وقد نحى في ذلك منحى فلسفي منطقي – كما سيتبين معنا ذلك فيما بعد- و تبعا لهذا فهو يرى أن النشاط الإنساني نشاط سيميائي في مختلف مظاهره وتجلياته. ويعد هذا العلم في نظره إطارا مرجعيا يشمل كل الدراسات، و يعلن *"بورس"* أنه « ليس باستطاعته أن يدرس أي شيء في هذا الكون كالرياضيات و الأخلاق أو الميتافيزيقا والجاذبية الأرضية و الديناميكا الحرارية و البصريات و الكيمياء و علم التشريح المقارن و علم الفلك و علم الصوتيات و علم الاقتصاد و تاريخ العلم و الكلام و الصمت ... و علم القياس و الموازين إلا باعتباره نسقا سيميوطيقيا ».[33] و يحضرنا في هذا المقام قول أحد الدارسين: « ولدت السيميولوجيا و السيميوطيقا مرتين في بداية هذا القرن، و من شأن هذه النشأة أن تفسر تطور مدارس متباينة داخل هذا العلم الوليد، على الرغم من العناصر المشتركة بينهما ».[34]

لقد أجمع أغلب النقاد المحدثون على أن *"بورس"* لم يلتق أو لم يقرأ عن *"دو سوسير"* والعكس صحيح أيضا، إلا أن معطياتهما تكاد تكون متقاربة ومنسجمة في بعض المواضع، فالعديد من الدراسات تجمع على أن كلاهما عاشا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر و ماتا في مطلع القرن العشرين، كما أن كليهما أسس لعلم نقدي لغوي شامل، وهو علم السيميائية أو علم العلامات كل بطريقته، وكلاهما انطلق في تأسيس ذلك من خلال الحديث عن معطيات العلامة وتصنيفاتها ومداخلها، وميادين تنظيرها وتطبيقها، وكلاهما أسهم في إنعاش الحركة النقدية والمعرفية الأوربية، وعدت معطياتهما طرائق يهتدى بها في السلوك التحليلي الفلسفي والنقدي واللغوي الحديث.

لكن على الرغم من ظهورهما في مرحلة زمنية متقاربة، و تقارب معطياتهما في بعض المواضع، إلا أن العديد من الدراسات تذهب إلى أن بحث كل منهما استقل وانفصل عن الآخر. فالأول – أي *"دو سوسير"* – بشر في محاضراته بظهور علم جديد سماه (السيميولوجيا) *Sémiologie* سيهتم بالعلامة

---

[32] مع أن *"بورس"* يعده الكثير من الباحثين أحد رواد هذا المنهج، إلا أن منهجه لم يشتهر إلا بعد وفاته، لأنه لم يخص هذا التوجه للبحث اللساني أو الأدبي، بل كثيرا ما أعطى بحوثه صبغة فلسفية، فكثيرا ما كان يوضف المبادئ و القواعد المنطقية أثناء تقسيماته للعلامة أو الدليل.

[33] عامر الحلواني، ***في القراءة السيميائية***. ص: 26. نقلا عن: C. Peirce , ***écrits sur le signe***. Traduit par G. Deledalle. Paris. éd. Seuil. 1970. p : 32.

[34] *المرجع نفسه*. ص: 26، 27.

ووضع خواصها الأساسية، حيث رأى "*دوسوسير*" أن العلامة اللغوية تندرج في منظومة أكبر هي العلامات بصفة عامة، فإذا كانت الكلمة علامة على الفكر أو الشيء، فإنها تقترب في ذلك من علامات أخرى سمعية و بصرية تدل على شيء آخر غير ذاتها. و بعبارة أخرى يعد علم اللغة جزءا من علم أكبر منه يخضع له و لقوانينه ألا وهو السيميولوجيا.[35]

فاللغة عند "*دوسوسير*" لا تكتسب معناها نتيجة الصلة بين الكلمات والأشياء، بل نتيجة كونها أجزاء في نسق من العلاقات. فلقد رفض هذا الأخير الفكرة التي ترى في اللغة كومة من الكلمات التي تتراكم تدريجيا لتؤدي وظيفة أولية هي الإشارة إلى الأشياء في العالم، بل اللغة عنده مجموعة من العلامات، حيث كل علامة تفصح عن علاقة ثنائية، إذ أنها لا تجمع بين الشيء و مسماه، و لكنها تجمع بين المفهوم الذهني و الصورة السمعية؛ أي بين الدال و المدلول. و من ثم فأساس اللغة عنده أنها علامات اعتباطية مع إهمال أن العلامة لها علاقة بعالم الواقع.[36] و بالإضافة إلى هذه العلاقة الاعتباطية بين الدال و المدلول و التي استلهمت كثيرا فكر "*دوسوسير*" فقد كانت إشاراته إلى قيمة العلامة و المحاور الاستبدالية و التركيبية وقضية النظام تشكل محاور أساسية سينبني عليها علم جديد في المستقبل و يقصد به السيميولوجيا.

أما العالم الثاني و نقصد به "*بورس*" فقد حدد العلم الذي بشر به بـ (السيميائية) *Sémiotique* وهو ما يعني عنده نظرية تعنى بالعلامات و تمفصلاتها في الفكر الإنساني، فلقد أسس "*بورس*" الخطوات المنهجية لدراسة العلامة وتقسيماتها وأهمية دراستها، وتصنيف الحقول التي تسهم العلامة في الاشتغال فيها، ويمكن القول إنها تعمل بنشاط في كل ميادين الحياة المختلفة. وتتسم خطوات "*بورس*" هذه بميزتين:

الأولى: أنها تحليل فلسفي منطقي.

الثانية: الإيغال في التقسيم والتفصيل.

---

[35] انظر: صلاح فضل، ***مناهج النقد المعاصر***. ص: 97.

[36] انظر: محمد السرغيني، ***محاضرات في السيميولوجيا***. (دار الثقافة : الدار البيضاء). ط:1. 1987م. ص: 56.

ففيما يتعلق بالنقطة الأولى اتسم تحليل *"بورس"* للعلامات بوصفها تحليلا فلسفيا منطقيا من حيث استخدام المصطلح الفلسفي، ثم تصنيف العلامات وفقا لذلك، ولا غرابة في هذا لأن *"بورس"* هو فيلسوف، واشتغاله في الميدان الفلسفي أوسع وأكبر من اشتغاله بالميدان النقدي، أما فيما يتعلق بالميزة الثانية فقد كانت تقسيمات *"بورس"* للعلامة وفروعها، تقسيمات ثلاثية.[37]

قام *"بورس"* بدراسة العلامة و محاولة تحليل أنواعها المختلفة و التي قسمها إلى (مصوِرة / مفسرة / موضوع)، و ميز بين مستوياتها المتعددة، مما نشأ عنها ثلاثة أبعاد للبحث السيميوطيقي هي التداولية *Pragmatique* و علم الدلالة *Sémantique* و علم التركيب *Syntaxe*.[38] و هذا يدل على المبدأ الشكلي للعلامات عند *"بورس"*، وبالتالي تعد سيميائية *"بورس"* مطابقة لعلم المنطق.

إن السيميولوجيا تندرج عند *"دوسوسير"* في علم النفس الاجتماعي، فهي جزء من علم النفس العام، وتدرس كل الأشكال غير اللفظية، كعلامات المرور، ولغة الصم البكم ... إلخ، بينما تندرج السيميائية بوصفها دراسة للتجربة الإنسانية كما يراها *"بورس"* ضمن علم المنطق، حيث يمكن النظر إلى كل النشاطات الإنسانية من وجهة سيميائية، سواء كانت فيزياء أم رياضيات أم سياسة أم اقتصادا... إلخ، فالسيميائيات إذا نظرية للعلامات، خصوصا أن العلامة في التحديد البورسي، هي كل ما يقوم مقام شيء ما ويمثله، ومنه فالكون كله علامة، والسيميائيات دراسة لهذا الكون العلامي.[39]

وعلاوة على هذين المنبعين الرئيسين – مبادئ *"دو سوسير"* و *"بورس"* يذكر *"تودوروف"* منابع أخرى غذت السيميائيات المعاصرة وأسهمت في بلورتها. وتتجلى هذه المنابع في مجهودات الفيلسوف الألماني *"إرنست كاسيرر" E. Cassirer*، صاحب فلسفة الأشكال الرمزية الذي وضع . قبيل أواسط القرن العشرين . تصورات عميقة وغنية حول الأنساق الرمزية التي يستعملها الإنسان ويعيش داخلها، والتي تحدده باعتباره حيوانا رامزا. أما عن أهم مجهود قام به فيتلخص في عمله الرائد:

---

[37] انظر: جيرار دولودال، ***السيميائيات أو نظرية العلامات***. ترجمة: عبد الرحمن بوعلي. (مطبعة النجاح الجديدة : الدار البيضاء). ط:1. 2000م. ص: 14.

[38] انظر: عامر الحلواني، ***في القراءة السيميائية***. ص: 27.

[39] انظر: محمد السرغيني، ***محاضرات في السيميولوجيا***. ص: 56، 57.

فلسفة الأشكال الرمزية *La philosophie des formes symboliques* الذي طرح فيه بجلاء مبدأين رئيسين: [40]

- أولهما أن اللغة أوسع من كونها مجرد أداة تواصلية.
- وثانيهما أن اللغة ليست هي الوحيدة التي تنعم بامتياز التواصل، وإنما تتقاسمه مع سلسلة أخرى من الأنساق التي تشكل – في مجموعها – عالم الإنسان. وهذه الأنساق هي: الأسطورة *Le mythe* والدين والفن والعلم والتاريخ. وليس العالم سوى تشكيل من هذه (الأشكال الرمزية) *Les formes symboliques*.

إلا أن مشروع *"كاسيرر"* لم يتطور في اتجاه النضج والتماسك، لأنه كان بالأساس مشروعا فلسفيا أكثر منه إسهاما علميا. [41]

و إلى جانب هذا المنبع الألماني الذي كان له الدور الفعال في نضج السيميائية، هناك مورد آخر أشار إليه كذلك *"تودوروف"* في معجمه، ويتمثل في أبحاث فلسفة اللغة والمنطق *Logique* التي سادت في التقاليد الأكاديمية الأمريكية في منتصف القرن العشرين، والتي كانت قد تبلورت انطلاقا من تصورات المنطق الرمزي لمدرسة فيينا. [42] و قد تمخضت هذه التقاليد عن نظريات لسانية تداولية *Pragmatiques* ، و التي سرعان ما تقاطعت مع مفاهيم *"بورس"* ، وتوسعت مع *"شارل موريس" Ch.Morris* لترسم معالم مبحث تداولي للعلامات عام وشامل. كما يضيف *"تودوروف"* إلى هذه المنابع كتابات رواد اللسانيات البنيوية أمثال: *"سابير" E. Sapir* و *"تروبتسكوي" N. Trubetskoy* و *"جاكبسون" R. Jacobson* و *"هلمسليف" L. Hjelmslev* و *"بنفنيست" É.*

---

[40] فريد أمعضشو، « ***المنهج السيميائي*** ». من موقع لحسن عزوز للدراسات النقدية السيميائية. نقلا عن: T. Todorov et O. Ducrot : ***Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage***. P 116 – 119.

[41] المرجع نفسه.

[42] و ذلك مع *"فريجه" Frege* مرورا بـ *"راسل" Russel* و *"كارناب" Carnap*، كما أسهم *"بويسنس" Buyssens* في هذا المضمار بكتابه: *Les langages et le discours* الصادر عام 1943 وغيرهم.

Benveniste، حيث اهتم هؤلاء بالمنظور السيميولوجي، وعملوا على تحديد موقع اللغة داخل الأنساق السيميوطيقية الأخرى.[43]

بقيت مسألة أخيرة تجدر الإشارة إليها، و هي أن أهم خاصية في المنهج السيميائي هو أنه منهج (داخلي) محايث و هو بذلك يعد من المناهج التي جاءت كردة فعل على الاتجاهات التي تعنى بدراسة إطار النص ومحيطه وأسبابه الخارجية، وعليه دعا المنهج السيميائي إلى ضرورة التركيز على الجوهر الداخلي للنص، لوجود نمط خاص ونظام متعلق به، فهو يعتبر النص كيانا لغويا مستقلا أو جسدا لغويا أو نظاما من الرموز والدلالات التي تولد وتعيش فيه، ولا صلة لها بخارج النص،[44]

و هكذا تبنى التحليل السيميائي النهج نفسه الذي سلكه الشكلانيون الروس والبنيويون من قبل، فتدل الممارسات النقدية على أن التحليل السيميائي يتكئ بالدرجة الأولى على اللسانيات البنيوية أو يلتقي معها في جملة من الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية لقاء الابن بالأب، فإذا كان المنهج البنيوي يسعى إلى دراسة النص في إطار البنية اللغوية الداخلية وتفسيره في حدودها، فإن المنهج السيميائي لا يبتعد عن هذا المنحى، وإن كان يتجاوزه إلى محاولة الوقوف على كل الملابسات الخارجية لفضاء النص، وإدراك الظواهر الاجتماعية والنفسية والثقافية الخفية في جوانبها التواصلية اللغوية منها وغير اللغوية – بما في ذلك طبيعة الإشارات وأنساقها وخواصها–[45] بغية تحقيق أكبر قدر من القراءات الاحتمالية؛ بحيث يظل النص مفتوحا على قراءات أخرى؛ ولذلك يذهب " *بول ريكور*" *P. Ricœur* إلى أنه « لا ينبغي لأي تفسير أن يكون احتماليا وحسب، بل عليه أن يكون أكثر احتمالا من أي تفسير آخر، وأن هناك معايير للتفوق النسبي ».[46]

وقد فتحت هذه التصورات التأسيسية الطريق أمام اجتهادات علمية أخرى مست ميادين ومجالات متنوعة ومتباينة، وأدت إلى تشكل اتجاهات و مدارس سيميائية عديدة ومختلفة؛ غير أن

---

[43] فريد أمعضشو، « ***المنهج السيميائي*** » . من موقع لحسن عزوز للدراسات النقدية السيميائية.

[44] انظر: شكري عزيز الماضي، ***في نظرية الأدب***. (دار الحداثة : بيروت – لبنان). ط: 1. 1986م. ص:138، 139.

[45] انظر: حلاّم الجيلالي، ***المنهج السيميائي وتحليل البنية العميقة للنص***. مجلة الموقف الأدبي. (دمشق). السنة: 31. العدد: 365. 2001م. ص: 24.

[46] Re*cœ*ur Paul. ***De Textes a Laction***. Paris : Seuil. 1986. P : 202. *المرجع نفسه*. نقلا عن:

العنصر الأساس للدراسة السيميائية ظل هو (العلامة) *le Signe*، و التي اختلف مفهومها باختلاف النظريات والاتجاهات السيميائية التي ظهرت.

و تبنت نتائج السيميائية النظرية منها والتطبيقية علوم كثيرة كالأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا والتحليل النفسي والتاريخ والخطاب الحقوقي وكل ما له صلة بالآداب والفنون البصرية وغيرها. بل لقد شكلت السميائيات منذ الخمسينات من القرن الماضي في المجال الأدبي تيارا فكريا أثرى الممارسة النقدية المعاصرة وأمدها بأشكال جديدة لتصنيف الوقائع الأدبية وفهمها وتأويلها. و يأتي في مقدمتها، ظهور جماعة (كما هو) *Tel Quel* التي تأسست في باريس سنة 1960م، وتمثلت في منطلقها الاتجاه الماركسي، ثم انتهت إلى التصوف والتفكير الديني.[47] كما مهدت الطريق كذلك (الجمعية الأدبية للسيمياء) سنة 1969م حين أصدرت دوريتها الفصلية (سيمياء) *Semiotica* بباريس، واستقطبت نخبة من الباحثين، أمثال *"جوليا كريستيفا" J. Kristeva* من فرنسا، و *"أمبرتو إيكو" U. Eco* من إيطاليا، و *"يوري ليتمان" Y-Lotman* من روسيا، و *"سيبوك" Sybock* من أمريكا وغيرهم.[48]

3- *اتجاهات النقد السيميائي*

على الرغم من حداثة المنهج السيميائي في مجال النقد خصوصا، إلا أنه لم يكد يستوي على عوده، حتى سلك عدة اتجاهات في تناول النص:

أ- اتجاه أول، يرى أن السيمياء هي دراسة الأنظمة الدالة من خلال الظواهر الاجتماعية و الثقافية الملابسة للنص، من منظور أنها جزء من اللسانيات - وهذا طبعا خلاف ما ذهب إليه *"دو سوسير"* - ويعتبر هذا الاتجاه من أكثر الاتجاهات التي ساعدت على تطوير هذا العلم و ضبط أسسه و مصطلحاته مثله في ذلك مثل أي فرع من فروع اللسانيات، و يؤكد على دراسة أنظمة الاتصال غير اللغوية بخاصة. و من أهم من مثَّل هذا الاتجاه من النقاد نجد: *"رولان بارت" R. Barthes* و *"بيير*

---

[47] انظر: محمد عزام، ***النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب***. (وزارة الثقافة : دمشق). دط. 1996م. ص: 61.

[48] المرجع نفسه. ص: 10.

جيرو *P. Guira* و "غريماس" *Greimas* ، غير أن "*رولان بارت*" يأتي على رأس هؤلاء جميعا.[49]

جاءت محاولات "*بارت*" لتواصل الجهود الفلسفية للسيميائية التي بدأها "*بورس*" والجهود اللغوية التي بدأها "*دو سوسير*" واستطاع أن يقدم مفهوما جديدا للسيميائية من خلال تجاوزه البعدين الفلسفي واللغوي لها إلى البعد النقدي. فلقد ركز "*بارت*" في أعماله على تطبيق مفاهيم اللسانيات في شكلها البنيوي، ووجهتها الدلالية المتصلة بالحياة الاجتماعية للأفراد و الجماعات، إلا أن "*بارت*" في أعماله تلك راح إلى نقض المتراجحة السوسيرية التي تفترض أن ماهو سيميولوجي يتجاوز *Déborde* الألسني، عن قناعة منه بأن العلامات الغيرية *Objectaux*، غير اللغوية، لا تكتمل هويتها ما لم يُتحدث عنها لغويا، أي قبل أن تصبح علامات لفظية *Verbeaux* ، وراح ينقل تلك المتراجحة إلى الشكل العكسي الجديد (الألسنية > السيميولوجيا)، مجسدا ذلك أفضل تجسيد في كتابه: *نظام الموضة*، الذي خصصه لدراسة عالم الأزياء و الأناقة و ما في حكم ذلك من علامات غير لغوية، إلا أنه أعرب عن أنه لا يشتغل على الموضة الحقيقية بل على الموضة المكتوبة؛ أي على الأزياء كما تصورها جرائد الموضة.[50]

و بهذا الطرح الجديد الذي وصل إليه اللسانيون، نجد أن "*بارت*" يستعمل مصطلح سيميولوجيا اتفاقا مع "*دوسوسير*" ، إلا أنه يخالفه في مفهوم العلامة التي تربط اللسانيات بالسيميولوجيا، فإذا كانت عند "*دوسوسير*" علاقة فرع بأصل، حيث يقول في ذلك: « ليست الألسنية سوى أحد فروع هذا العلم العام (السيميولوجيا) »،[51] يقلب "*بارت*" الأطروحة السوسيرية جاعلا من اللسانيات أصلا و السيميولوجيا فرعا، و بذلك تجد الدراسة السيميائية مصداقيتها في النقد الأدبي، خاصة من مقولة "*بارت*" الشهيرة « يجب منذ الآن قلب، تقبل إمكانية قلب الاقتراح السوسيري ليست اللسانيات

---

[49] انظر: محمد السرغيني، ***محاضرات في السيميولوجيا***. ص: 59، 60.

[50] انظر: يوسف وغليسي، ***مناهج النقد الأدبي***. ص: 94.

[51] انظر: دانيال تشاندلر، ***أسس السيميائية***. ص: 37. نقلا عن: Saussure, ***Course in General Linguistics***. P : 16 – 17.

جزءا و لو مفصلا من علم الأدلة العام، و لكن الجزء هو علم الأدلة، باعتباره فرعا من اللسانيات »،[52] وهي مقولة مست هذا الاتجاه في أسسه النظرية وإجراءاته التطبيقية و مصطلحاته المفتاحية.

و هكذا، لم يتوقف البحث السيميائي عند *"بارت"* على ما عهده، بل أخذ معه مسارا تطوريا عمق المجال السيميائي تعميقا نوعيا في اتجاه (سيميائية الدلالة) على أساس أن كل الوقائع دالة، و أن كل بنية سيميائية تمتزج باللغة، و أن كل المجالات المعرفية ذات العمق السيميائي الحقيقي تفرض علينا مواجهة اللغة ... فالأشياء تحمل دلالات، ولكنها لا تكتسب صفة النسق السيميائي إلا من اللغة،[53] لذلك يستبعد *"بارت"* إمكان وجود المعنى خارج اللغة، فهي —عنده — تعبير عن جوهر المدلولات، مما يعني أنه قلب المعادلة السوسيرية كما سبق و أشرنا إلى ذلك.

لقد اهتم *"بارت"* كثيرا بما تقدمه السيميولوجيا خاصة من ناحية دلالية المعنى، فلقد اعتبر النص آلة لغوية ليس من السهل التحكم بها و إنما علينا أن نترك لأجزاء النص و ما فيه من علامات متسعا من الحوار و الجدل و التفاعل الداخلي الذي يكشف عن وجود طرق مختلفة للإبلاغ و التوصيل و التعبير.[54]

أما نظيره الفرنسي *"غريماس"* فقد جعل من شكل الدلالة موضوعا سيميائيا للبحث، مستفيدا في هذا التحديد من *"هلمسليف"* ومتخذا السردية أساسا لتحليل جميع الخطابات الإنسانية، فمن خلال المربع السيميائي قام *"غريماس"* بتحليل الأشكال المعقدة للدلالة إلى عناصر بسيطة حيث خصص لتجسيد المعنى ثلاث علاقات منطقية وهي (التضاد والتناقض و التضمن) و يرى الباحث أن ما يمكن استخلاصه من المربع السيميائي أن كل عمل قصصي يمكن تجريده إلى أربع نقاط تفضي كل منها إلى علاقة بالأخرى سواء كانت علاقة تعارض وتناقض أم علاقة انسجام وتكامل وائتلاف.[55] وقد عرفت مدرسته بمدرسة باريس السيميائية، ناشئا منها نظرية السيميائيات السردية و تبعه في ذلك *"مشال*

---

[52] غريب اسكندر، ***الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي***. (المجلس الأعلى للثقافة : القاهرة). ط:1. 2002م. ص: 22. نقلا عن: Roland Barthes , ***Elements de Semiologie Cominications***. V4 Eseul Paris. 1964. P : 134.

[53] انظر: عامر الحلواني، ***في القراءة السيميائية***. ص: 31.

[54] انظر: إبراهيم خليل، ***في النقد و النقد الألسني***. ص: 93.

[55] *المرجع نفسه*. ص: 94.

أريفيه" و غيره. و لقد عمل على تأكيد هذه التسمية ما صدر عنهم من كتاب بعنوان: *السيميوطيقا، مدرسة باريس.*[56]

ب– اتجاه ثان، يرى أن السيمياء هي دراسة لأنظمة الاتصال اللغوية منها و غير اللغوية،[57] و يسعى إلى تحديد هذه الأنظمة المختلفة وفق عدد من الإشارات التي من ضمنها الألفاظ اللغوية. و قد تبنى هذه الوجهة كل من *"جورج مونان" G. Mounin* و *" بريتو"Prieto* و *"أندريه مارتينيه" A. martinet* و غيرهم. أي أن هذا الفريق اشتغل على السيميولوجيا التواصلية، فقاموا بدراسة الأنساق التواصلية المختلفة من وجهة سيميائية، فـ *"مارتينيه"* مثلا يرى أن الوظيفة الرئيسية للأداة التي تمثلها اللغة هي وظيفة الإبلاغ.[58] و يتضح من هذه المقولة أن السيمياء إنما هي أساس للتواصل عامة، و بذلك تصبح اللغة أو الرموز اللغوية جزءا من أنظمة التواصل مثلها مثل الإيماء و الإشارة.

ج– أما الاتجاه الثالث، فحاول أن يوفق بين الاتجاهين السابقين؛ أي بين العلامة اللغوية و العلامة غير اللغوية باعتبارهما يتكاملان مع اللسانيات، و قد برزت في هذا المنحى جملة من المقاربات النظرية و التطبيقية تندرج تحتها أعمال كل من الباحث الإيطالي *"أمبيرتو ايكو"* و *"جوليا كريستيفا"* و غيرهما.

و تذهب *"كريستيفا"* إلى عدم قبول حصر السيميولوجيا في دراسة الأنساق التواصلية فحسب، فالسيميوطيقا عندها هي لحظة التفكير في قوانين التدليل، دون أن تبقى أسيرة اللغة التواصلية التي تخلو من مكان الذات. و التدليل عند *"كريستيفا"* يرتبط و مفاهيم (الإنتاج) أو (التوليد)، فلم تعن هذه الأخيرة بأن يكون الإبداع الأدبي موضوعا للتحليل بقدر ما جعلته في الإنتاج الأدبي، و لذلك لم تكن الدلالة هدفا لها بل المدلولية. و عليه أضافت كلمة *Analyse* و أصبح مشروعها التحليلي يسمى (علم الدلالة التحليلي) *Sémanalyse*.[59]

---

[56] انظر: محمد السرغيني، ***محاضرات في السيميولوجيا***. ص: 60.

[57] الدلالة وقابلة للتفسير والتأويل. والمقصود بالإشارة أو الرمز غير اللغوي عامة، هي كل علامة غير ثابتة

[58] انظر: غريب اسكندر، ***الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي***. ص: 21.

[59] انظر: مارسيلو داسكال، ***الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة***. ترجمة: حميد لحمداني و آخرون. (أفريقيا الشرق : الدار البيضاء).ط:1. 1987م. ص: 69 – 71.

الخاتمة

لقد فتحت السميائيات أمام الباحثين في مجالات متعددة آفاقا جديدة لتناول الإنتاج الإنساني من زوايا نظر جديدة. بل يمكن القول إن السميائيات أسهمت بقدر كبير في تجديد الوعي النقدي من خلال إعادة النظر في طريقة التعاطي مع قضايا المعنى، ولقد قدمت في هذا المجال مقترحات هامة عملت على نقل القراءة النقدية من وضع الوصف المباشر للوقائع النصية، إلى التحليل المؤسس معرفيا وجماليا.[60]

و بناء على المبادئ التي يعمل بها المنهج السيميائي انتشر هذا الأخير في العديد من الدراسات، وامتزجت السيميائية بالعديد من العلوم كالعلوم الدقيقة مثل الرياضيات والبيولوجيا والفيزياء، وعلوم إنسانية كعلم النفس واللسانيات، ومنها انفتحت على مجالات متعددة للدراسة تجمع بين الأنتروبولوجيا وعلم الاجتماع والفينومينولوجيا وغيرها. كما صدرت دوريات متخصصة تحمل اسم السيميائية مثل دورية (الجمعية الدولية للدراسات السيميوطيقية) *Semiotica* و (دورية) *Semiosis* الألمانية و *Versus* الإيطالية *Degres* البلجيكية، فضلا عن مئات الدراسات التي تنتشر في دوريات علم اللغة واللسانيات و الأسلوبية وعلم الجمال والنقد الأدبي وغيرها. أغنت هذه النظريات المتعددة المنهج السيميائي في التحليل، استطاعت من خلالها تحقيق استقلاليتها الذاتية المعرفية، محددة بذلك موضوعها في البحث عن تناسل المعنى في كل النشاطات

---

[60] انظر مقدمة كتاب: سعيد بن كراد، ***السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها***.